[69] الباب الرابع من استعطف غضب السلطان بصادق لفظ، واستوفف مكروها بموقظ بيان أو وعظ قرئ على أبى بكر الصولى بالبصرة وأنا أسمع في كتابه: " كتاب الوزراء ". وجدت بخط ابراهيم بن جاهين، حدثنى على بن محمد النوفلي: أن المأمون ذكر عمرو بن مسعدة واستبطأه في أشياء، وكان ذلك بحضرة أحمد بن أبى خالد فأخبر به عمروا أحمد، فدخل عمرو إلى المأمون فرمى بنفسه وقال: أنا عائذ باﷲ من سخطك يا أمير المؤمنين، أنا أقل من أن يشكوني أمير المؤمنين إلى أحد، ويسر على ضغنا يظهر منه لمكانة ما ظهر. فقال له المأمون وما ذاك ؟ فأخبره بما بلغه. فقال لم يكن كذلك، وإنما جرى معنى أوجب ذكر ما ذكرت فقدمته قبل أن أخبرك به وكان ذلك عزمى، ومالك عندي إلا ما تحب فليفرج روعك، وليحسن ظنك وسكن ما به حتى شكره وجعل ماء الحياة يدور في وجهه. فلما دخل أحمد بن أبى خالد قال له: اشكو إليك من بحضرتي من أهلى وخدمي فما للمجلس حرمة حتى تؤدى ما يجرى فيه إلى عمرو بن مسعدة فقد أبلغ لى شيئا قلته فيه فاتهمت به بعض بنى هاشم ممن كان حاضرا، وذلك أن عمرا دخل على فأعاد ما كان واعتذر، فجعلت أعتذر إليه بعذر لم يبن الحق نسجه، ولم يتسق القول فيه، وان لسان الباطل ينبئ عن الظاهر بالباطن. فقال له أحمد: لا يتهم أمير المؤمنين أحدا أنا أخبرت عمرا. قال: ما دعاك إلى ذلك ؟ قال الشكر ﷲ واﷲ لاصطناعك. والنصح بك والمحبة لاتمام نعمتك على أوليائك وخدمك، وقد علمت أن أمير المؤمنين يحب إصلاح الاعداء والبعداء، فكيف بالاولياء والقرباء، لاسيما مثل عمرو في موضعه من الدولة، وموقفه من الخدمة، ومكانه من أمير المؤمنين فأخبرته بما أنكره عليه ليقوم أود يقينه، ويتلافى ما فرط منه. وإنما العيب لو أزعت سرا فيه قدح على السلطان أو نقض تدبير له. فقال له